REMA
المجلة المغربية للتدقيق والتنمية
2023
2024
54-55

خاص

أول مجلة للتدقيق بالمغرب

الأبعاد والرهانات الجيوسياسية والاقتصادية للرياضة

تحت إشراف
عبد الرحيم غريب
محمد حركات

الأبعاد والرهانات الجيوسياسية والاقتصادية للرياضة

تحت إشراف

عبد الرحيم غريب

محمد حركات

اشغال اليوم الدراسي، 1 مارس 2023 – الرباط

المجلة المغربية للتدقيق والتنمية، عدد 54-55، 2023-2024

الرّياضة بين فرص القوة الناعمة ومخاطر التوظيف السياسي

إدريس لكريني*

تقديم

شكّلت الملاعب الرياضية منذ القدم ملاذا للفرجة، والهروب من الضغوطات اليومية ومختلف المشاكل التي تواجه الأفراد، وكذا مناسبة لتطوير القدرات ولإستعراض المهارات، في إطار من التنافس. وعلاوة عن كونها وسيلة للتفريغ والتسلية وإثبات الذات، فلا تخفى انعكاساتها على مستوى تربية الأفراد على قيم التسامح والحوار، والروح الرياضية، والإقرار بالأخطاء والسعي لتجاوزها.

إنها وسيلة للتفريغ والفرجة وإثبات الذات، ولذلك تعمل الكثير من الدول على إيلائها اهتماما كبيرا، من خلال توفير البنى التحتية وتنظيم اللقاءات والمباريات، ودعم الأندية الرياضية.

وأمام الإشعاع الكبير الذي باتت تحققه الرياضات بصورها الفردية والجماعية عبر العالم، أصبحت تغري رجال ونساء بفرصها التي تتيح لهم تحقيق تطلعاتهم وطموحاتهم السياسية من خلال استثمار الإقبال الجماهيري الواسع عليها.

كما سعت الكثير من دول العالم إلى تسخير الرياضة بما تحيل إليها من منجزات وفعاليات كعنصر من عناصر القوة الناعمة، ففي سبيل كسب الكثير من المعارك الاقتصادية والسياسية.

---

* – أستاذ العلاقات الدولية وتحليل الأزمات، ومدير متخبر الدراسات الدستورية وتحليل الأزمات والسياسات، بجامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب.

فيما أولت المنظمات الدولية من جانبها أهمية لهذا القطاع وعيا بأدواره المفترضة في تلطيف العلاقات بين الدول وتعزيز السلام، وتشجيع التواصل بين مختلف الشعوب.

وفي هذا المقال، سنتوقف عند أهمية الرياضة وعلاقتها بالسياسة والتنمية على المستويات الوطنية، قبل الانتقال إلى رصد توظيفاتها كعنصر من عناصر القوة الناعمة على المستوى الدولي وبخاصة فيما يتعلق بإرساء السلم.

أولا: الرياضة بين فرص التنمية وإشكالات التوظيف السياسي

توفّر المناسبات الرياضية عائدات مالية ضخمة للدول، كما تشكل لحظة سانحة لتسويق الفرص الاستثمارية والسياحية للبلد، ما يعزز الاقتصاد ويدعم جهود التنمية، وهو ما تراهن عليه الكثير من الدول التي تستضيف فعاليات رياضية، كما هو الشأن بالنسبة لكأس العالم الذي يحظى باهتمام إعلامي وجماهري واسع.

وقد أصبحت الكثير من الدول ترى في الرياضة مقوّما أساسيا ضمن عناصر القوة الناعمة التي كثيرا ما تستثمرها في إطار تعزيز سياساتها الخارجية، على مستوى جلب الاستثمارات، والتعريف بحضارة وثقافة البلد، وبخاصة مع تزايد الاهتمام الإعلامي الدولي والوطني بفعالياتها.

تبرز الممارسة إلى أن الكثير من الدول استثمرت استضافة فعاليات نهائيات كأس العالم بشكل ذكيّ مكّنها من تحقيق إقلاع اقتصادي وتنموي، وهو ما تعكسه الكثير من التجارب، فقد اقترن التحوّل الاقتصادي والسياسي الذي ميّز إسبانيا في العقود الأخيرة بثلاث أحداث رئيسية كان من ضمنها تنظيم كأس العالم لكرة القدم عام 1982، إلى جانب وصول حكومة «فيليبي غونثاليث» إلى الحكم خلال نفس السنة، والانضمام إلى الاتحاد الأوربي عام 1986.

فيما حققت جنوب إفريقيا عام 2010 إيرادات ضخمة من هذا التنظيم، ونفس الأمر ينطبق على البرازيل التي تمكنت من إنعاش اقتصادها عام 2014 بأكثر من 30 مليار دولار جراء هذا الاحتضان..

كما أن روسيا كسبت رهان تنظيم هذا الملتقى العالمي في عام 2018 بصورة ناجحة على عدة مستويات، فعلى المستوى الاقتصادي، تشير كل المعطيات والأرقام الصادرة في هذا الخصوص إلى أن «موسكو» استثمرت إمكانيات ضخمة لتحديث الملاعب وتطوير البنيات التحتية من طرق وفنادق واتصالات ومواصلات، فيما بلغت واردات المونديال حوالي 13.5 مليار دولار. وعلى

المستوى الاستراتيجي، توفّقت إلى حد كبير في الترويج لبلد منفتح يساير التطورات العالمية في أبعادها المختلفة، والتأكيد على أن الحضور الدولي المتزايد لهذا البلد على مستوى تدبير عدد من القضايا والأزمات الدولية يجد سنده في حالة الانتعاش الاقتصادي والاستقرار السياسي الذي شهدته البلاد[1]..

أما قطر التي استضافت «المونديال» في عام 2022، فتشير التقديرات إلى أن الأرباح المالية المحققة من استضافة هذه المناسبة العالمية ستصل إلى نحو 17 مليار دولار، ضمن عوائد مختلفة آنية ومستقبلية[2].

ومن جهة أخرى، تحوّلت الملاعب الرياضية خلال العقود الأخيرة إلى فضاءات تعجّ بالشعارات والمطالب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أبعادها الوطنية والدولية، ضمن استثمار ذكي للإشعاع المتزايد لعدد من الرياضات؛ كما هو الشأن بالنسبة لكرة القدم، وتوظيف المتابعة الجماهيرية الواسعة التي تحظى بها في أوساط فئات مختلفة من المجتمع؛ في سياق المرافعة بشأن عدد من القضايا المجتمعية التي لا تحظى باهتمام كاف من قبل عدد من القنوات الإعلامية.

فكثيرا ما مثلت الميادين الرياضية منصات للدفاع عن الحقوق والحريات، والتحسيس بعدد من القضايا الدولية في أبعادها البيئية والانسانية والاجتماعية، والتعريف بمعاناة عدد من الشعوب، في ارتباط ذلك بالإشكالات التي تطرحها قضايا الهجرة واللجوء، والفقر والتمييز العنصري، بل وإرسال خطابات تنبذ العنف والحروب، وتدعم التواصل والحوار.

أما على المستويات الداخلية، أصبحت الكثير من المناسبات الرياضية تشكل فرصا لإطلاق شعارات ومطالب متصلة بقضايا الحريات وحقوق الإنسان، وغلاء الأسعار وانتقاد أداء النخب الحاكمة.. وقد زاد من فعالية ذلك، انتظام الجماهير المشجّعة في إطار مجموعات «الإلتراس»[3]،

1 – د.إدريس لكريني: روسيا ورسائل المونديال، مجلة درع الوطن، الإمارات العربية المتحدة، العدد 559، غشت/ أغسطس عام 2018، ص 5.

2 – قطر تكشف عن أبرز أرقام ومكاسب كأس العالم 2022، الموقع الإلكتروني للجزيرة، بتاريخ 29 سبتمبر 2022، على الرابط:
https://cutt.us/vootE

3 – كثيرا ما تورطت هذه المجموعات في أعمال شغب وعنف أيضا، لمزيد من التفاصيل حول هذا الشأن، يراجع:
Abderrahim Bourkia: des ultras dans la ville, Etudes sociologique sur un aspect de la violence urbaine, Editions Bouregreg, Rabat, 2018

التي طورت من أساليب تشجيعاتها لفرقها المفضلة، مستثمرة في ذلك الزخم الإعلامي الذي يرافق المنافسات الرياضية، والعدد الكبير لمنخرطيها الذي يضم مئات الآلاف أحيانا، وذلك برفع لافتات، وترديد شعارات وأغان، وعرض «تيفوهات»[1] لا تخلو من حمولات سياسية واجتماعية، غالبا ما تلقى تفاعلا كبيرا داخل المجتمع.

إن هذا التحوّل الذي شهدته وظائف الملاعب الرياضية في عدد من الدول؛ بغض النظر عن إمكانياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، سواء كانت متقدمة أو متخلفة، يطرح الكثير من الأسئلة حول العوامل والأسباب التي جعلت الكثير من الأشخاص من مستويات عمرية وطبقات اجتماعية مختلفة، يلجؤون إلى الملاعب لتصريف مطالبهم وقضاياهم المختلفة من خلال المنافسات الرياضية.

ومع الحديث عن مكانة الرياضة داخل المجتمعات، يطرح السؤال حول السبب الذي يدفع الشباب إلى الإقبال على الملاعب والأندية الرياضية في مقابل العزوف عن الانخراط في الأحزاب السياسية والمشاركة في الانتخابات، وحتى الاهتمام بالشأن السياسي.

يبدو أن الكثير من هؤلاء الشباب مقتنعون أن انخراطهم في نواد رياضية يتيح لهم فرصا واعدة لتأكيد الحضور وإبراز المواهب في إطار قواعد رياضية تنافسية، أكثر منها لو انخرطوا في أحزاب سياسي حيث يغيب منطق الكفاءة لحساب اعتبارات أخرى.

إن أول ملاحظة تبرز للعيان في هذا السياق، هي أن الإقبال على الملاعب والمنتديات الرياضية، يقابله عزوف كبير على الشأن السياسي وعلى المشاركة السياسية بشكل عام، ما يحيل إلى وجود اختلالات تطال القنوات الوسيطة من أحزاب سياسية ونقابات وهيئات سياسية، بحيث يظهر أنها لم تعد قادرة أو مؤهلة لمواكبة معاناة وتطلعات الجماهير التي وجدت متنفسا في الملاعب، مثلما وجدته أيضا في شبكات التواصل الاجتماعي التي تحوّلت من آليات للتواصل والتعارف، إلى قنوات للضغط والتأثير على عدة مستويات.

فيما بدأت الكثير من الدول تشهد تصاعدا للخطابات الشعبوية، وللنخب المتطرفة، التي استغلت الفراغ الناجم عن غياب مشاريع اجتماعية وثقافية تقودها نخب وازنة على قدر من

1 – هو جمع «تيفو» وهو مصطلح يحيل إلى الرسومات واللوحات الفنية التي يشكلها أنصار الفرق الرياضية (الألتراس) داخل مدرجات الملاعب بواسطة صفائح بلاستيكية وبالونات وألبسة ملونة..

الكفاءة والمصداقية. وفي الوقت الذي يتم فيه الترويج للاعبين الرياضيين وبعض الفنانين، ويجعل منهم «أبطال وطنيين» في ظرف قياسي، يلاحظ في مقابل ذلك تهميش ممنهج للعلماء والمثقفين والباحثين، والتعتيم ضد إنجازاتهم وإسهاماتهم في تطوير المجتمعات.

إن التحول الكبير الذي شهدته الملاعب الرياضية من حيث تحوّلها من فضاءات للفرجة والتسلية إلى منصات للاحتجاج، يحيل في جزء كبير منه إلى وجود ارتباك واضح على مستوى القنوات الوسيطة والنخب السياسية التقليدية التي لم تطور من أدائها وخطاباتها وأدوات اشتغالها؛ أخذا بعين الاعتبار للتطورات التي شهدتها المجتمعات في عدد من المجالات والميادين، ومواكبتها للمتغيرات الدولية بصدد عدد من القضايا والأولويات[1].

إن استثمار الجماهير للملاعب الرياضية كإطار للتعبير عن أحلامها وآمالها، والتنفيس عن آلامها، هو بمثابة رسالة واضحة إلى مختلف النخب والقنوات الوسيطة من أحزاب سياسية ونقابات ومؤسسات إعلامية لتطوير أدائها وبانفتاحها على قضايا المجتمع على تلك التي يفرضها المحيط الدولي، وذلك بالعودة إلى عمق المجتمع والالتزام بمهامها ووظائفها، ومسؤولياتها، على مستوى التنوير والتأطير والتعبئة والتنشئة الاجتماعية.

كما أن الأمر يسائل الدول نفسها بتوفير هامش مريح للتحرك أمام هذه القنوات والنخب، ذلك أن الفراغ الذي تخلفه على مستوى عدم الاستئثار بمهامها، هو خطر حقيقي يتربص بالمجتمع والدولة.

ثانيا: الرياضة ورهانات السلام في عالم المخاطر

أضحى تحقيق السلام في الوقت الراهن مطلبا ملحّا، في ظل تفاقم الصراعات والنزاعات الدولية وبروز أسلحة فتاكة، إضافة إلى تعقّد القضايا الدولية وتنامي المخاطر العابرة للحدود (تلوث البيئة، وندرة المياه، والإرهاب، والأمراض الخطيرة والجرائم الرقمية).

فقد تبين تحت وقع الكثير من الأحداث والنزاعات والأزمات أن السبل التقليدية لتعزيز السلام لم تعد كافية، وهو ما أصبح يفرض ضرورة بلورة سبل مستدامة ومتطورة ومنفتحة لمواجهة هذه التهديدات المعقدة.

1 – د.إدريس لكريني: الرياضة بين الفرجة والتّرافع، صحيفة الخليج، الإمارات العربية المتحدة، بتاريخ 30 يوليو 2023.

شهد مفهوم القوة الذي يحيل إلى القدرة على التأثير في القرارات والآراء والسلوكيّات الدوليّة، تطورا كبيرا في العلاقات الدولية، ووعيا بالكلفة التي ينطوي عليها استخدام القوة الخشنة في سبيل تحقيق الأهداف والمصالح، فقد بدأ الميل بشكل كبير إلى توظيف آليات القوة الناعمة؛ بعناصرها الثقافية والفنية والروحية والعلمية والرياضية في تحقيق هذه الرهانات، على اعتبار أنها تقوم على الإغراء والإقناع بدل الإكراه والزجر.

كما أن وظيفة الدبلوماسية في الوقت الراهن أضحت فنا وعلما، ولم تعد مقتصرة على نسج وتعزيز العلاقات التقليدية، بل أصبحت تستأثر بمجموعة من المهام الجديدة التي فرضها تطور العلاقات الدولية، من قبيل المساهمة في تدبير الأزمات المختلفة، وجلب الاستثمارات، وتشجيع السياحة، وتعزيز المصالح العليا للدولة، وكذا المساهمة في حفظ السلم والأمن الدوليين في عالم مليء بالتحديات والمخاطر.

وفي هذا السياق، تبرز أهمية توظيف المداخل الناعمة لكسب هذا الرهان الإنساني، سواء تعلق الأمر بالفن أو الثقافة أو الرياضة.

لا تخفي أهمية الرياضة في تلطيف الأجواء السياسية، وتفريغ الطاقات وتنشئة الفرد على التعايش داخل المجتمع، فقد أضحت كرة القدم من أكثر الألعاب شعبية وانتشارا؛ تستقطب اهتمام مختلف الفئات داخل المجتمع نساء ورجالا؛ فقراء وأغنياء؛ كبارا وصغارا، وكذلك اهتمام وسائل الإعلام المحلية والدولية.

ويشرف الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) الذي تأسس في عام 1904 على 211 اتحادا وطنيا في هذا الصدد، فيما تصاعدت العائدات المالية لهذه الرياضة والتي أصبحت تفوق بمواردها ميزانيات عدد من الدول، التي تتعزز خلال بطولات كأس العالم (مداخيل النقل التلفزي، والإشهار وتذاكر الدخول إلى الملاعب..)، وهو ما جعل هذه اللعبة الشعبية تغري بفرضها الكثير من السياسيين والمستثمرين على امتداد مناطق مختلفة من العالم. وهكذا أضحت الكثير من الدول تستثمرها، كما هو الشأن بعدد من الرياضات الأخرى، كسبيل لتعزيز سياستها الخارجية[1].

ففي أعقاب حصول المغرب على ميداليتين في الألعاب الأولمبية بأمريكا عام 1984، اعتبر الملك الراحل الحسن الثاني أن المغرب أصبح معروف أكثر بالبطلين «سعيد عويطة» و»نوال المتوكل».

1 – يشار إلى أن الولايات المتحدة أحدثت قسما للدبلوماسية الرياضية بعد أحداث 11 سبتمبر كسبيل لاستهداف الشباب

كما ساهم وصول المنتخب المغربي لكرة القدم إلى الدور نصف النهائي ضمن فعاليات كأس العام التي استضافتها دولة قطر في عام 2022 في ارتفاع عدد السياح الذين زاروا المغرب[1].

تتيح المناسبات الرياضية فرصا للقاء الجماهير من مستويات اجتماعية وتعليمية وأعراق وديانات مختلفة، كما تسنح أيضا بالتسويق للمنتجات الصناعية الاستهلاكية، وتمرير الرسائل والقيم، والمساهمة في التنشئة الاجتماعية[2].

عرفت الكثير من الدول والمجتمعات برياضييها، كما استطاعت بلدان أخرى تحقيق مكتسبات عدة بفضل الرياضة، كانت لها انعكاسات إيجابية على مناطق وفئات اجتماعية مختلفة.

فالحصول على جوائز رياضية عالمية تتيح التسويق للبلد ولصورته الحضارية. كما لا تخفى أهمية انخراط عدد من الأندية الرياضية الدولية أو بعض الرياضيين المشهورين في بلورة مبادرات إنسانية؛ تدعم التحسيس بمآسي بعض الفئات الاجتماعية المظلومة أو المهمشة أو بمخاطر بيئية تهدّد الإنسانية أو بمعاناة إنسانية مختلفة (تمييز عنصري، فقر، حروب، أمراض..)، بما يسهم في لفت النظر إلى هذه القضايا، وتشكيل رأي عام دولي واسع مواكب ومؤثر في هذا الخصوص.

تنبّهت الكثير من المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة.. إلى الانتشار الكبير الذي أصبحت تحظى به الرياضة بمختلف أصنافها في أوساط الشعوب، والاهتمام الذي تلاقيه في الأوساط الإعلامية والاقتصادية والسياسية.. بما يجعلها قادرة على تلطيف العلاقات بين الدول، ووسيلة للتقريب بين الشعوب، وخدمة للسلام العالمي، في عالم متشابك ومثقل بالتحديات.

وقد سبق للجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة أن اعتبرت ضمن قرارها رقم 60/1 لعام 2005 أن بإمكان الرياضة أن تسهم في تحقيق الأهداف الإنمائية للتنمية، قبل أن تجعل من تاريخ 06 أبريل من كل عام يوما دوليا للرياضة، من أجل التنمية والسلام بمقتضى قرارها رقم 67/296 لعام 2013.

ومثلت بطولة العالم لكرة الطاولة (البينغ بونغ) التي انعقدت باليابان عام 1971 مناسبة جيدة لتلطيف الأجواء المشحونة بين الصين الشعبية والولايات المتحدة الأمريكية وإرساء أرضية للحوار بينهما، بعد قطيعة دامت أكثر من عقدين، ضمن ما سمي حينئذ بدبلوماسية «البينغ بونغ».

1 – هكذا أثرت مشاركة الأسود في مونديال قطر على السياحة الوطنية، الموقع الإلكتروني «اقتصاد كوم»، بتاريخ 09 فبراير 2023، على الرابط: https://cutt.us/UOQZf

2 – نشير في هذا السياق، إلى الحملات التي قادها كل اللاعبين الشهرين في كرة القدم «بيلي» ضد الفساء، و«مارادونا» ضد المخدرات.

وخلال مقابلة كرة القدم التي جمعت بين الولايات المتحدة وإيران في كأس العالم لعام 1998 والتي جرت في أجواء من الشحن السياسي قدم اللاعبون الإيرانيون الورود لخصومهم، قبل التقاط صورة جماعية تضم كلا الفريقين.

وقد حاولت الصين استثمار نجاحها في تنظيم الدورة الأولمبية ببكين عام 2008، وكذا تقدّمها في ترتيب الميداليات المحصل عليها، لتسويق صورة بلد منفتح ومتطور، ونفس الأمر بالنسبة لروسيا خلال استضافتها لفعاليات بطولة كأس العالم في كرة القدم لعام 2018 . فيما حمل المونديال الأخير بقطر مجموعة من الرسائل الحضارية، أتاحت تجاوز الصور النمطية المروجة في الغرب عن العرب والمسلمين.

ورغم النبل الذي تنطوي عليه الرياضة في كثير من الأحيان، فكثيرا ما يتم استغلال الملاعب لتكريس التعصب، ونشر الكراهية والأحقاد، فقد وظفها كل من «موسوليني» و«هتلر» بشكل مكثف في الترويج لنظاميهما الفاشي والنازي.

وخلال فترة الحرب الباردة بصراعاتها الإديولوجية والعسكرية والاقتصادية سعت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي (سابقا) إلى توظيف عدد من المناسبات الرياضية في تأجيج هذا الصراع. كما استُغلّت الرياضة لتعبئة الأفراد وتوجيههم وشحنهم وإلهائهم بصراعات و»معارك وهمية» أسهمت في تضخيمها وسائل الإعلام[1]. وهو ما أثر بالسلب في مسار بعض المناسبات الرياضية وأدّى إلى تحريفها عن أهدافها النبيلة، وجعل منها وسيلة لتمرير المواقف السياسية واستغلال مشاعر الجماهير لأغراض سياسية ضيقة.

1 – يمكن الإشارة في هذا الخصوص إلى مقابلة كرة القدم بين مصر والجزائر في السودان عام 2009، لمزيد من التفاصيل في هذا الخصوص، يراجع، إدريس لكريني: معارك وهمية في زمن الانكسارات والهزائم العربية، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 04 ديسمبر 2009، على الرابط:

https://studies.aljazeera.net/ar/issues/2009/2011722104721546226.html

خاتمة

أضحت الرياضة أحد روافد التنمية، وغدت قطاعا منتجا، بالنظر إلى الشعبية العالمية التي تحظى بها، كما استثمرتها الكثير من الدول والمنظمات في ترسيخ قيم تربوية وإنسانية نبيلة وتحقيق مكتسبات اقتصادية. وتتزايد الحاجة إلى توظيف الرياضة كمدخل لإرساء سلام عالمي مستدام، كفيل بتذليل العقبات بين الدول، وتعزيز التواصل بين الشعوب.

إن الظرفية الدولية الراهنة بتحدياتها وإشكالاتها ومخاطرها العابرة للحدود، تستوجب أكثر من أي وقت مضى، توظيف المجتمع الدولي لعدد من مقومات القوة الناعمة كالرياضة، في سبيل ترسيخ علاقات دولية بحسّ إنساني يتجاوز نقائص الدبلوماسية الرسمية.